الذي يتجذر في الارض

قصة بقلم حسب الله يحيى

بكى الطائر الحزين ، صرخ .. عاد لازار ، عاد لازار .

كانت الآهة تمزق السكون . الكون حول الاشياء يضج بالحركة . ثم يمارس الصمت . لا شيء غير هذه الطريقة يمكن استخدامها . انتظار التطورات . خطأ الماضي لن يعود .. ومع ذلك يعود .

وبكى قلبي انا ايضا . اسقط في عالم يتلوث بالدم ، دم .. يقال ان الدم يزرع القمر .

انا ازرع حبي ، احصد دمعة ، وانين الماضي لم يعد غائرا في صدري ، يعيش العمق ، يعيش العمق .. يـ ..

لازار عاد يحفر قبري ، يواري صمتي .. اذن يا قلب توارى ، ويا مدينة الهزيمة ، مارسي مرة اخرى مضاجعة الاحلام، وبخور الرجاء، وزيف الانتصار .

لازار عاد يحفر قبري ، يـواري صمتي .. اذن يا قلب توارى ، تفسيرها .. ازمة !

قسوة . اعرف انني انسان ، ورصيدي مقفل على ابواب الامم المتحدة ، شبابي يصلب هناك . هويتي على الرف ، حنجرتي لن تجف، امامي اجهزة الاعلام .. وانهار العالم تروي ظمأ احشائي .. لسوف امارس الطريقة ذاتها .

قال الصغار :

ـ عاد لازار .

قال ابي ، امي ، اختي.. الجميع :

ـ عاد لازار .

قلت :

ـ عاد .

الاسى يطفح على وجهي ، املك وجه الحقيقة ، ومع ذلك اشهد جنازتي الملوثة ، وجواز سفري على اعتاب الطرق المسورة بالاسلاك الشائكة .

حلم الانتصار القذر ، هنا في رأسي الملوث بالخيانة .

تغازلني انثى ، استجيب .. ولتذهب المبادىء الى الجحيم .

اسرف في قتل ضميري ، اغتال صوتي في حناجر الآخرين .

المادة ، صفقة ، تصفيق .. انا سعيد .

بدايات في اعقاب المولد الجديد ، وتخطي ابعاد الزمن المقبر .

لازار عاد ، انا ارقص هنا على الحان غريبة ، احس بامكانيات اقوى .. ومع ذلك انا مهزوم ، مفروض على العالم ، ليس الآن فحسب، ذلك وجهي السابق والآني ، و .. لاسكت كلماتي ، اقف . ابتلع افكاري . لا ، لن استرسل ،معي سلة كلمات حلوة اطرزها على جدران الازقة ، يسقط ، يعيش ، نطالب .. وارفع اللافتات في الشوارع عن « سوف » انتصر ولن اعيد المأساة !

بوجه او بلا وجه .. المهم ان لازارا القذر .. عاد .

وحدة الدم تتراكم ، تكبر .. يهتف شيء من الداخل ، في الجو يتعالى الهاتف بأنين فاجع ، ارسل بطاقة استنكار ، اجمع عملة نقدية ، اسكت الانين . فزع من الارض ذاتها .

الارض تقف على ساق يتغذى .. جذور في الارض هي جذوري انا .

بلا وجه ، قيل لي ، عاد لازار بلا وجه .. احتفل الاصحاب بعودته ، وضعت يدي على خدي..

انتظر بطاقة زمن يتيم احتل فيه مكانا في الرحلة القادمة .

التلوث عاد . العطاء امام هدايا الكلمات ، كان جريدة لا تغتفر .

لازار عاد ، بلا عينين ، بلا ملامح ، ولكنه عاد باحلام اكبر من اعوام القرن الذي قطع ربعه بسعادة .. وانا هنا امتطي سادية الهتاف .. واعجز عن تكحيل عيون المستقبل .

لازار ، لازار ..

في ذلك القبس كنت اقدس لون ذاتي بنرجسية ، بدأت الآن افهم ، لازار عاد بوجه جديد ، باتساع اكبر ، بعناصر تلحن ، بقوى مغذية .. انا ادفن الحقد ، العن حرارة جلسة قذرة منقوشة الحروف . قبر لازار كان شاغرا ، من ايقظ اللعنة .. السيد المسيح يعجز احيانا ان يعيد لازارا آخر ..

يا ذنب الفصول ، يا ذنوب القمر ، والكواكب الآملة الجريحة .. مجتمعة .. القبر ينتظر لازار .

فجأة احتلت صدري برتقالة ، اصونها ، احتضن حبي ، اسير.. سأعود بوجه هذه المرة ، بوجه ، بوجه ..

احشائي المبعثرة في دروب المدينة والمطرزة بالاكاليل ، دمي يتوزع ، يترك لحن الضمير في الارض .. يسقيها ، يغذي الحقيقة داخلها ، اشعر بوجودي يتصاعد بفخر ، ويكون اكثر التحاما برائحة الارض ، اجدني اتجذر في الاعماق ، لا اتخشب ، جذري الصامد يمنحني القوة ، استطيع هذه المرة ان اشهر سيفي ، امتطي جوادي . اسابق الريح ، امارس اعتزاز ماض غابر مطعون .. يشمخ الرجل الذي هو انا .

عندئذ لن تقف امامي سدود . فيا غد الشمس الحبيبة انا عائد ، ذلك ان جذوري تمتد في كل التجاويف ، ومنها اصنع اغنياتي .. لن يكون الطريق موحشا .. ومع كل السلبيات ، انا احتم الوصل .. اصل ، اصل ..

العراق ـ الموصل

حسب الله يحيى